تلقي النص الأدبي وجمالية الوقع

Reception Of Literary Text And Esthetic of Reality

تاريخ الإرسال:2018-01-23 تاريخ القبول: 2018-01-24

الطالب: عبد الجليل بلوحي

إشراف :الأستاذ الدكتور محمد بلقاسم

مخبر المصطلح والمصطلحية

جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ (الجزائر)

الملخص:

جمالية التلقي Reception Theory من الاتجاهات النقدية المعاصرة التي ظهرت بعد البنيوية، ومن ثم تعتبر جمالية التلقي من الاتجاهات النقدية ما بعد البنيوية، ولقد اهتمت الدراسات الأدبية قبل جمالية التلقي وفي بداياتها بالمؤلف فأصبح للمؤلف سلطة على الدراسات النقدية في مقاربة النص الأدبي وبخاصة في الطرح النفسي، ثم انتقل الاهتمام بعد ذلك إلى النص باعتباره بنية وأن السلطة المطلقة تعود إلى النص وذلك من خلال الطرح النقدي ذو الأصول الألسنية الذي يدعو إلى مقاربة النص لذاته وبذاته باعتبار بنية مستقلة عن السياق، وهذا الطرح النقدي ظهر مع النقد البنيوي.

إن اهتمام الدرس النقدي بالسياق في مرحلة أولى و بالنص وسلطته في مرحلة ثانية جعل الطرح النقدي يلتفت إلى أن كلا الطرحين أهملا المتلقي و بذلك ظهر طرح ثالث في النقد الأدبي المعاصر يدعو إلى العودة إلى المتلقي باعتباره طرفا فعالا في عملية مقاربة التص الأدبي، وبذلك طرحت جمالية التلقي ثنائية النص / القارئ، وظهرت المعالم الرئيسية لجمالية التلقي في النقد الأدبي المعاصر كاتجاه نقدي في قراءة النص الأدبي مع مدرسة كونسطانس الألمانية بريادة كل من –فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser* وهانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss.**

تجلت أولى مقاربة النص الأدبي من منطلق جمالية التلقي مع مدرسة كونستانس الألمانية وهي مدرسة نسبة إلى مدينة "كونستانس" التي تقع في جنوب ألمانيا على بحيرة (بودنزي)، ونشأت هذه المدرسة في أواخر الستينات كردة فعل على مدارس ثلاث كانت سائدة في الدراسات النقدية الألمانية آنذاك: و هي " مدرسة التفسير الضمني" و"المدرسة الماركسية" و"مدرسة فرانكفورت"، و أهم أعلامها اثنان هما " هانس – روبيرت ياوس" و " فولفانغ إيرز". و أهم ما جاءت به هو التركيز على دور التلقي وتوسيع مفهوم التلقي ليخرج من المفهوم السيكولوجي (أنغلو– أمريكي) و يقوم على مفهوم التجربة الجمالية بأبعادها الثلاثة: البعد الاستقبالي – البعد التطهيري – و البعد التواصلي؛ ومن ثم نجد أن مدرسة كونسطانس من المدارس النقدية المعاصرة التي أسست للانتقال بالعملية النقدية من البحث عن العلالقة بين النص وسياقه، أو البحث عن العلائق النسقية المكونة للنص الأدبي في مرفولوجيته اللغوية إلى البحث عن العلاقة بين النص و قارئه، والاهتمام بالمتلقي كمنتج ثان للنص العلاقة من خلال العلاقة التالية:

Destinateur Message Destinataire

المرسل ⟵ المرسلة ⟵ المرسل إليه.

المؤلف النصّ المتلقي (الذات المتلقية).

تتكـون ظاهرة التلقي من ثلاثة محاور أساسية تتمثل في المبدع ⟵ المخاطب، و النصّ ⟵ الخطاب، والقارئ ⟵ المخاطب، ومن خلال التفاعل بين العناصر الثلاثة تتم عملية التلقي، و من ثم يذهب ((أصحاب نظرية التلقي أنّ العمل الأدبيّ يتشكل من خلال فعل القراءة و إن جوهره ومعناه لا ينتميان إلى النصّ، بل إلى العملية التي تتفاعل فيها الوحدات البنائية النصّية مع تصور القارئ، ومن خلال اشتغال القارئ به))1، و عليه نقف على أن المبدع له فعل التأثير من خلال النص الإبداعي بأساليب تعتمد على فعل التأثير في المتلقي، فالنص الإبداعي بناء أساسه السمة الجمالية تظهر من خلال بنائه اللغوي، وأن العلاقة التفاعلية بين النص و متلقيه هو أساسه فعل التلقي في طرح جمالية التلقي.

تعطي جمالية التلقي المتلقي اهتمام بالغا في الدراسات النقدية المعاصرة والفعل النقدي، باعتبار المتلقي الجهة المستقبلة وهي المركز الأساس في العملية التواصلية في العملية النقدية في الطرح الجوهري لجمالية التلقي في النقد المعاصر، وبخاصة عند الرواد فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser وهانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss، وكان الاهتمام بالمتلقي عند المؤسسين في مدرسة كونسطانس الألمانية نابع عن وعي فلسفي و معرفي مستمد من أصول معرفية وبخاصة الطرح الظاهراتية منها.

تفاعلية فعل القراءة بين النص الأدبي والمتلقي:

إن هيمنة سلطة الكاتب والنص على فعل القراءة في الحركة النقدية المعاصرة أهملت إلى حد بعيد فعل القارئ باعتباره متلقي منتج، و هذا ما دفع بمدرسة كونسطانس إلى لفت الانتباه إلى المتلقي و بخاصة عند الرواد فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser وهانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss، وهذا ما جعل أطروحات مدرسة كونسطانس تطرح نفسها كبديل لأطروحات القراءة السياقية و القراءة النسقية، ومن ثم شكلت مدرسة كونسطانس منعطفا فعالا وجديد في المسار النقدي المعاصر من حيث تحويل بؤرة الاهتمام غلي المتلقي في فعل القراءة و مقاربة النص الأدبي.

تذهب جمالية التلقي إلى أن الوقع باعتباره أثر فني هو نتيجة جمالية لتلقي النص الأدبي لا يمكن الفصل بينهما، فالتلقي والوقع الناتج عن سمة التأثير مرحلتين ضروريتان في عملية التلقي، ولكي تتحقق عملية التلقي باعتبارها عملية جمالية لابد أن تكون العلاقة بين النص والمتلقي علاقة تفاعلية من خلال وصل التواصل الفني، فالتلقي تفاعل خلاق وتواصل حقيقي بين النص والذات المتلقية.

وضعت جمالية التلقي المتلقي في محور فعال باعتباره الجهة التي تقوم بفعل التأويل انطلاقا من علاقة الوقع الجمالي الناتج عن العلاقة التفاعلية بين النص ومتلقيه، ومن ثم ((أضحى القارئ "فاعلاً" ديناميا يؤثر بالنصّ، فيصنع دلالته، وهكذا أصبحت صيرورة القراءة تدرك كتفاعل مادي محسوس بين نص القارئ ونصّ الكاتب))2 في علاقة تفاعية منتجة لفعل الوقع.

التفاعل من الركائز الأساسية في عملية القراءة، فقراءة النص الأدبي لا تكون منتجة للدلالة إلا من خلال التفاعل بين المتلقي والنص الأدبي، ففعل التواصل لا يتم إلا من خلال عنصري النص والمتلقي، فهما شريكان في عملة التواصل الفني، وهذا ما دفع بالطرح الفينومينولوجيا إلى أن يذهب إلى ((أنّ دراسة العمل الأدبيِّ يجب أن تهتم ليس فقط بالنصّ الفعلي، بل كذلك و بنفس الدرجة بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النصّ))3، ففعل التحقق هو العامل الأساس في إنتاج الدلالة وإنتاج الموضوع الجمالي، ومن ثم يقف فعل التلقي على أن عملية التلقي تتحقق من خلال قطبين أساسين هما النص ويشكل القطب الفني والثاني القطب الجمالي والذي يتحقق من خلال والوقع الفني لدى المتلقي.

لا تتجسد قيمة النص الأدبي باعتباره عمل جمالي إلا من خلال عملية التلقي، فالمتلقي هو الطرف الفاعل في توليد البعد الجمالي للنص الأدبي، فمن خلال التفاعل بين النص الأدبي والمتلقي ينتج الفعل الجمالي، ولا يكون التأويل ذو قيمة إضافية تفسيرا وتوليدا للدلالة إلا من خلال العلاقة التفاعلية بين النص ومتلقيه، وقيمة النص الأدبي تتجسد من خلال العلاقة التفاعلية بين النص الأدبي ومتلقيه (الباث – المتلقي)، ومن ثم نصل إلى أنه لا يتجسد النص الأدبي في بعد الدلالي والجمالي من خلال بنيته فقط وإنما يتحقق ذلك من خلال وجود الطرف الثاني (المتلقي)، وإذا انسحب طرف من العلاقة التفاعلية وبخاصة المتلقي غابت القيمة الجمالية والدلالية من عملي التلقي.

النصّ ⟷ **القارئ** ⇦ علاقة سلبية و إيجابية معاً منفعلة و فاعلة في نفس الوقت.

إن الوقوف على ظاهرة التفاعل بين المتلقي والنص الأدبي تجعلنا نقف على بناء الأدوات الإجرائية التي يتجسد من خلالها الوقع الجمالي الذي يتركه النص الأدبي في المتلقي (القارئ)، فرد فعل المتلقي وهو يتفاعل مع النص الأدبي هي الجوهر الأساسي لظاهرة الوقع الجمالي، ويكون الوقع الجمالي أكثر فعالية عند ما يكون التفاعل بين المتلقي والنص الأدبي ذو سمة إيجابية ومنتجة، وبذلك لا يكتفي فعل القراءة بفهم دلالات النص الأدبي من خلال عملية التفاعل المباشر ووقعه الجمالي، بل يتجاوز عملية التفاعل السطحي إلى سمة تفاعلية أكثر عمقا يدي بالمتلقي إلى الوقوف على معنى المعنى داخل النص الأدبي، ولا يتمظهر ذلك إلا من خلال الوقع الجمالي الذي يمتد من خلا محوري العلاقة السلبية و الإيجابية بين النص الأدبي ومتلقيه، وبذلك نقف على أن فعل القراءة « Acte de lecture » هو مواكبة مسار التفاعلات بين المتلقي و النص الأدبي وما ينتج عنه من الملامح الجمالية في نفس المتلقي وما للوقع الجمالي من أثار جمالية في نفسية المتلقي.

– عملية التأثير الجمالي (زئبقية المفهوم):

إن عملية القراءة توجهنا بضرورة إلى المتلقي لأنه لا يمكن الفصل بينهما إلا إذا أن نفصل في آليات فعل القراءة، ومن ثم عند تمعننا في مسألة القراءة نجد أنفسنا أمام حدث وأمام التمكن من الحدث، وفعل القراءة هو تجربة يتفاعل فيها المتلقي مع النص الأدبي بآلية أو أخرى، ومن فعل القراءة يباشر المتلقي في إعادة صياغة النص الأول ينقله إلى نص ثاني أو ثالث أو نص لامتناهي وذلك من خلال فك الرموز اللغوية وتشفيراتها و أيقوناتها وذلك من خلال فعل التلقي الواعي المدرك لجوهر البنى اللغوية داخل النص الأدبي، وبذلك يدخل المتلقي لتأويل المقاصد الفعلية للنص الأدبي ومن ثم يصبح المتلقي منتج و يخرج من حلقة المستهلك لا منتج.

القراءة فعل ((أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة للوجود، إنها فعل خلاّق يقرب الرمز ويضم العلامة إلى العلامة، ويسير في دروب ملتوية جداً من الدلالات، نصادفها حينا و نتوهمها حيناً، فنختلقها اختلاقاً، إن القارئ وهو يقرأ يخترع ويتجاوز ذاته نفسها مثلما يتجاوز المكتوب أمامه، إننا في القراءة نصب ذاتنا على الأثر، وأن الأثر يصب علينا ذواتاً كثيرة، فيرد إلينا كل شيء في ما يشبه الحدس والفهم))4 ، الذي يعيد إنتاج النص انطلاقا من الوقع الجمالي و الدلالي النابع من إيماءات وأيقونات النص.

إن التفاعل بين النص الأدبي والمتلقي هي الأساس في عملية التلقي وبخاصة في منحاها الجمالي، وللوقوف على الوقع الجمالي الذي يكون نتيجة تلقي النص الأدبي وتذوقه يجدر بنا الوقوف على أن للقارئ فعل الأساس في تنشيط الأبعاد الجمالية والدلالية في النص الأدبي من خلال تفكيك بنية النص والبحث عن معنى المعنى والدلالات العميقة وبخاصة البنية الإشارية والبنية الرمزية و البنية الأيقونية المكونة للنص الأدبي، هذه البنيات التي تتماهى مع بعضها البعض هذا التماهي الذي يكون المصدر الأساس لظاهرة الوقع لدى متلقي النص الأدبي، ومن ثم نجد أن البحث الأبعاد الجمالية والوقوف عليها هو الأساس في البحث في مسألة جمالية الوقع في عملية تلقي النص الأدبي.

إن معنى المعنى في النص الأدبي هو البعد الجمالي النص الأدبي، وأن جمالية الوقع في الأساس نابعة حضور الخيال في النص الأدبي، ومن ثم نجد ((وإنما ينطبع فيها هو خارج الشيء ولا يجتمع الأثر والشيء معاً، وحوافر الخيل قيمتها في غياب الأخيل، أما إذا حضرت الخيل فلا وظيفة لحوافرها))5، وبذلك نجد أن المتلقي المثال هو المتلقي الذي يجد من أجل الوقوف على ظلال النص من خلال بنيته الظاهرة، فالتفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه من خلال التجربة الجمالية يصبح فيها فعل التأويل هو الفاعل الأساس في الأثر الجمالي، فالمتلقي انطلاقا من فعل الوقع الجمالي هو المنتج للدلالات انطلاقا من النص الأصل.

يحمل مصطلح الوقع في ثناياه دلالات لامتناهية نابعة من البعد الجمالي في ماهيته المفتوحة على التعدد، ولا يقع ذلك إلا بعد أن يقع فعل القراءة، والوقع هو الفعل الناتج عن فعل القراءة عند المتلقي، ومن ثم نقف على أن فعل القراءة أبعاد جمالية ناتج عن التفاعل الذي يحصل بين النص الأدبي والمتلقي، وبذلك يحدث فعل الوقع من جوهر تفاعل المتلقي مع النص الأدبي،ولهذا كان النقد الأدبيِّ في أصله عند فصحاء العرب عن جماليات النصّ، وكانوا يحرصون على جمال القول وشدة أسره أي أثره6، النابع من العملية التواصلية بين النص الأدبي ومتلقيه.

وبذلك نقف على أن ماهية الوقع في بعدها الجمالي هي فعل نابع من فعل القراءة وما يحدث وقع النص على متلقيه في ذاته، ومن ثم فعل الوقع يحدث في متلقيه من خلال التفاعل بين النص ومتلقيه والثر الجمالي الذي يحدثه في متلقيه في أبعاده الجمالية أكثر من الأبعاد الثقافية، هذا التفاعل الذي يكون الأساس في إعادة بناء النص الأدبي من المنطلق المعرفي الذي أسست له جوليا كريستيفا من خلال وقوفها على ظاهرة التناص Intertextualité في مفهومها الذي يدل على((التقاطع داخل نصٍّ لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى))7، ومن ثم يؤسس التناص لمفهوم العلاقة التشابكية بين النصوص المتعددة داخل النص الواحد، ومن ثم نجد أن انصهار النصوص المتعددة بفعل التناص يشكل الأساس لبنية النص الجديد،وذلك ما يزيد من فعل الوقع الأدبي، وبذلك تكون العملية التواصلية ذات فعالية باعتبار ((أنّ عمليات التحويل هي تكيّف الأثر تقوم بتكيّف الذات وزعزعتها عن موقفها القديم، فحركة التحول حركة شاملة تدفع الذات والأثر في اتجاه جديد))8، يخرج منه متلقي مثال.

جمالية الوقع عند إيرز:

يعد فولفغانغ إيرز Wolfgang Iser من رواد مدرسة كونستانس الألمانية التي أسست لنظرية التلقي في النقد الأدبي المعاصر، ولقد خالف فولفغانغ إيرزWolfgang Iser هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss منهجيا في مقاربة النص الأدبي وبخاصة في جانبه الجمالي الفني، ومع ذلك فإن اتفاقهما يقع حول إعادة تشكيل النظرية النقدية من خلال إزاحة الاهتمام في العملية النقدية عن السياق الخاص بالمؤثرت الخارجية التي صاحبت ميلاد النص، وكذلك إزاحة الاهتمام بالنص من حيث هو بنية صورية ذات طابع شكلاني، ومن ثم اهتمت جمالية التلقي وبخاصة عند فولفغانغ إيرزWolfgang Iser بالعلاقة التفاعلية بين النص ومتلقيه.

ركز فولفغانغ إيرزWolfgang Iser عمله على النقد الجديد و بخاصة ما تعلق بالنظرية السردية الجديدة، وذلك بخلاف هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss الذي كان اهتمامه منصب على تاريخ الأدب وعلم التفسير، واستعان فولفغانغ إيرزWolfgang Iser في بلورته نظريه في جمالية التلقي على الفلسفة الظاهراتية وأدواتها الإجرائية وبخاصة أطروحات انغاردن، والاختلاف بين فولفغانغ إيرزWolfgang Iser و هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss هو أن هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss ركز في عمله النقدي على الطابع الموضوعاتي للنصوص الأدبية وعلى الطابع التاريخي والسوسيولوجي للنص الأدبي، من مثل الاهتمام بالبحث في تاريخ التجربة الجمالية، أما اهتمام فولفغانغ إيرزWolfgang Iser فقد انصب على النص في بنيته الفردية المستقلة ومدى تفاعل المتلقي معه، دون الاهتمام بالسياق التاريخي والسوسيولوجي للنص الأدبي شأن هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jaussن ومن ثم نجد فولفغانغ إيرزWolfgang Iser أعاد النظر في الثنائية النص/القارئ في عملية القراءة، ومن ثم ركز فولفغانغ إيرزWolfgang Iser على الذات المتلقي، ومن وقع تركيزه على أن في ((قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنية النصّ ومتلقيه))9، تفاعل يقف من خلاله المتلقي على جمالية البنيات المكونة للنص الأدبي الذي لاتتحقق وظيفته الجمالية إلا إذا كان للوقع الفني دوره الأساس.

يذهب فولفغانغ إيرزWolfgang Iser إلى أن تلقي النص الأدبي ليس النص هو الهدف الأساس وإنما الأساس في عملية التلقي هو الاهتمام بعملية الاستجابة التي تقع بين النص و متلقيه، ((فالنصّ ذاته لا يقدم إلاّ مظاهر خُطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص بينما يحدث الإنتاج "الفعلي" من خلال فعل التحقق، ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبيّ قطبين، قد نسميهما: القطب الفني، والقطب الجمالي، الأول هو نص المؤلف، والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ))10 انطلاقا من تفاعل المتلقي مع النص.

يرى فولفغانغ إيرزWolfgang Iser أن القراءة ليست هي الفعل الذي يتجه في مسار واحد، أي المسار الذي يسير في منحى واحد من النص إلى المتلقي، بمعنى أنه يسلك اتجاهين متعاكسين يغذي أحدهما الآخر ينمو به و ينميه في آن واحد11، أي أن العملية التواصلية ذات طبيعة تشابكية من النص إلى المتلقي ومن المتلقي إلى النص تجمع بينهما العلاقة التفاعلية، ومن ثم حاول فولفغانغ إيرزWolfgang Iser أن يؤسس لمبدإ الانسجام بين الذات و الموضوع أي المتلقي والنص الأدبي، ومن ثم يرى فولفغانغ إيرزWolfgang Iser أن الدلالة نابعة من مبدإ التفاعل بين النص أدبي ومتلقيه، وللتأسيس لنظريته يذهب فولفغانغ إيرزWolfgang Iser إلى أن تجسيد مبدأ العلاقة التفاعلية بين النص الأدبي ومتلقيه في العملية التواصلية يطرح جملة من المفاهيم التي تخدم بعضها البعض، ومن المفاهيم المؤسسة لنظرية التلقي عند فولفغانغ إيرزWolfgang Iser في أصولها الأولى مفهوم القارئ الضمني أو القارئ المضمر Le Lecteur implicite باعتباره نتيجة جوهرية للعملية التواصلية التفاعلية بين النص الأدبي ومتلقيه.

ركز فولفغانغ إيرزWolfgang Iser منذ بداية طرحه على أن الجوهر في عملية التلقي هو البحث عن الكيفية التي يكون للنص الأدبي معنى عند متلقيه، والمعنى عند فولفغانغ إيرزWolfgang Iser ليس بالمفهوم الكلاسيكي الذي يدل على أن المعنى هو الشيء المضمر في النص، وإنما المعنى هو الدلالة التي تنشأ نتيجة العملية التواصلية التفاعلية بن النص و متلقيه، بمعنى أن المعنى ((أثرا يمكن ممارسته وليس موضوعا يمكن تحديده))12تحديدا مطلقا.

تعتبر المقصدية من القضايا التي ركز عليها فولفغانغ إيرزWolfgang Iser في تأسيسه للمعالم الرئيسة لجمالية التلقي، وجعل فولفغانغ إيرزWolfgang Iser من ظاهرة الوقع الذي يحدث من تفاعل المتلقي بالنص الأدبي وبخاصة تفاعله مع الصورة التي تنشأ من وقع المعنى على المتلقي، والدور الأساس للمتلقي المؤول بحسب فولفغانغ إيرزWolfgang Iser تظهر في دوره المفجر للدلالات في النص الأدبي، ومن ثم تأويل الرموز أثناء عملية التلقي بفعل تفاعل المتلقي مع النص الأدبي، وبذلك يكون للمتلقي الدور الأساس من خلال تحريكه بعد كل قراءة، ومن ثم تصبح المقصدية الناتجة عن الوقع لدى المتلقي عنصرا أساسي في جمالية التلقي عند فولفغانغ إيرز Wolfgang Iser.

عدم الاتساق بين مكونات النص الأدبي هي الميزة الأساس التي تميز النص لدى فولفغانغ إيرز Wolfgang Iser وبذلك يجعل فولفغانغ إيرزWolfgang Iser من المتلقي العنصر الرئيس الذي يعيد

الاتساق بين عناصر النص الأدبي والجعل من النص بنية متسقة، فعدم الاتساق بين عناصر النص يسميه فولفغانغ إيزرWolfgang Iser الفراغ أو البياض باعتبار ((إنّ الفجوة لديه هي عدم التوافق بين النصّ والقارئ وهي التي تحقق الاتصال في عملية القراءة))13، تحقق التفاعل بين النص ومتلقيه الذي يحقق القيمة الجمالية والدلالية للنص.

– فعل القراءة بين أمبرتو إيكو وفولفغانغ إيزر:

نظرية القراءة والتأويل من الميادين الابستمولوجية النقدية التي وقع من حولها الاختلاف في الطرح والتأسيس، ذلك ما يدفعنا لمحاولة إجراء مقارنة بين علمين من أعلام النقد الأدبي المعاصر وهما أمبرتو إيكو Umberto Eco السيميولوجي الإيطالي فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser أحد مؤسسي نظرية التلقي الألمانية، فالاختلاف بينهما يكمن في التكوين المعرفي لكل واحد منهما فأمبرتو إيكو Umberto Eco ذو توجه سيميوطيقي يشتغل ضمن الحقل العلاماتي للغة إضافة إلى اشتغاله في عدة ميادين معرفية فلسفية أسست لتوجهات نقدية متعددة، أما فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser فيشتغل في حقل نظرية التلقي التي تعتمد على أسس معرفية تمتد أصولها من لنظرية الفينومينولوجيا وللنظرية التأويلية، ومن ثم كان اشتغال فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser جد محصور في نظرية التلقي التي تشتغل على العلاقة التفاعلية بين النص الأدبي ومتلقيه، وبذلك كرس فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser كل حياته لمشروع واحد هو السير والتتبع العميق لتجربة القراءة وصيروراتها المعقدة في النصّوص الأدبيّة، أي أن طريقته شاقولية حفرية14، تتعمق في أعماق فعل القراءة.

وجدت مسائل متعددة من المسائل التي طرحتها جمالية التلقي عند فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser من مثل مسألة فعل القراءة Acte de lecture وعلاقته بفعل التأويل Interprétation حظورا متميزا في التأسيس لنظرية السيميوطيقية عند أمبرتو إيكو Umberto Eco، بحيث اشترك أمبرتو إيكو Umberto Eco مع فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser في كثير من المفاهيم، فكان لمفهوم القارئ الضمني والاستراتيجيات النصية عند فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser حضور في بلورة مفهوم القارئ النموذجي ومفهوم المفهوم الشفرة والاستراتيجيات النصية عند أمبرتو إيكـــو Umberto Eco.

حاول فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser من خلال نظرية التلقي أن يتتبع فعل القراءة وتتابع الفعل التواصلي في النصوص الأدبية وبخاصة في جانبها الجمالي، وبخاصة ما ينتج عن الفعل التواصلي بين المتلقي و النص الأدبي من وقع جمالي وآثاره في المتلقي، ويرى فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser أن توليد الدلالة و إنتاج المعنى ناتجة عن العلاقة التواصلية والتفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه، كما يذهب فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser أن فعل الوقع الجمالي لا يمكن له أن يحدث بمنئ عن وجود النص الأدبي كبنية جمالية، هذه البنية الجمالية هي التي تدعو المتلقي للتفاعل معها ولانصهار ضمنها، وأن الوقع الجمالي لا يمكن الوقوف عليه دون الوقوف على المتلقي وقفة فاحصة.

يعتبر أمبرتو إيكو Umberto Eco ذو المسار السيميوطيقي من أوائل المنظرين لفعل القراءة و بخاصة في طرحها السيميوطقي، ونجد أهم أطروحاته التي لها علاقة بجمالية التلقي وفعل القراءة قد تجلى في كتابه الأثر المفتوح،

بحيث نجد أمبرتو إيكو Umberto Eco في هذا المؤلف يطرح نظرة شاملة حول فعل القراءة وجمالية ا لوقع من خلال اعتباره النص الأدبي رسالة ذات شفرات مفتوحة على التأويل، وأن للمتلقي موقع في المسار التواصلي الجمالي الذي يقع بين النص الأدبي و متلقيه، ويشير أمبرتو إيكو Umberto Eco في كتابه القارئ في الحكاية Lector in Fabula إلى ظاهرة الأثر المفتوح باعتبار أن النص الأدبي جمالية الوقع فيه نابعة انفتاح النص الأدبي المتجلية من خلاله شفراته اللغوية، ومن ثم نجد أن أمبرتو إيكو Umberto Eco ولج بشكل جلي في إشكالية التلقي وعلاقة النص الأدبي بمتلقيه في طرحها السيميوطيقي،((ولهذا أُعتبر الكتاب من أهم الكتب التي اتخذت الجانب التأويلي للنصوص والكيفية الدينامية التي عن طريقها يمكن اعتبار المتلقي عموما ركيزة أساسية في عملية إنتاج الدلالة))15، والمبدا الأساس الذي ينطلق منه أمبرتو إيكو Umberto Eco افتراضية مصاحبة المتلقي للنص الأدبي والقيام بمهمة ملء البياضات والفراغات لإعادة تشكيل النص من زاوية فعالة و منتجة لمعنى المعنى.

ففعل التأويل الذي يقوم به المتلقي للنص الأدبي من خلال القراءة في الأيقونات المشكلة لبنية النص لا تكون من طرف الواحد وإنما من خلال ثنائية النص/ المتلقي النموذجي Lecteur modèle ، والتي يتجسد من خلالها فعل التفاعل الذي يتشكل من خلاله فعل التواصل المؤول للأيقونات المشكلة لنسيج النص، وهذا ما حاول أمبرتو إيكو Umberto Eco أن يقف من خلاله على ماهية الوقع الجمالي، بحيث ((إن الكيفية التي يكون عليها الأثر، تحدّد الكيفية التي كنا نبغي أن يكون عليها الأثر))16، كيفية تشكل الأساس للتغيرات والتحولات التي تؤول من خلالها الدلالة النابعة من مبدأ أن النص الأدبي مبني على تعدد المعنى و التي يكون للمتلقي وظاهرة الوقع الجمالي الأثر الأساس.

ركز فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser منذ البداية بظاهرة الوقع الجمالي ثم تأتي بعدها مسألة التلقي، بحيث أن مسألة التلقي تستحضر الأبعاد السيوسيولجية والتاريخية المصاحبة للنص الأدبي، أما ظاهرة الوقع الجمالي عند فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser فتؤسس على مفاهيم نصية، ويدعو فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser إلى ضرورة التركيز والتساؤل عن الوقع الجمالي التي يحدث نتيجة تفاعل المتلقي مع النص الأدبي، ومن ثم تحول المسألة عند فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser من ثنائية النص/ الدلالة إلى النص/ التلقي، وبذلك تبقى ظاهرة الوقع الجمالي مرتبطة النص الأدبي والوقع الجمالي الذي تحدثه مسألة التفاعل مع متلقيه.

وبعد هذا يمكن أن نقف على الفروق الجوهرية بين طرح أمبرتو إيكو Umberto Eco و فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser في مسالة تلقي النص الأدبي، وبذلك يركز طرح أمبرتو إيكو Umberto Eco على معالم النظام السيميائي في بنية النص الأدبي، أما فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser فيركز في طرحه على إرساء والتمكين لفعل التفاعل بين النص الأدبي والمتلقي المتجسد من خلال فعل القراءة، أما اتفاق فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser وأمبرتو إيكو Umberto Eco فيتجسد في مسألة أن فعل القراءة فعل ضروري في عملية التلقي ومسألة التأويل وانفتاح النص الأدبي على تعدد الدلالات، وأن دلالة النص تتشكل من خلال عملية التلقي والتفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه.

- جمالية الوقع هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss:

إن جوهر مفهوم القراءة لدى جمالية التلقي هو الوقوف على الوقع الجمالي الذي يحدثة النص الأدبي في متلقيه، ولذلك نجد أن نظرية التلقي ما اهتمامها لا بنصب على النص كبنية لغوية، بل ما يقع في مجال اهتمامها هو الوقع وأثاره الجمالية عل المتلقي والذي يشكل جوهر تفاعل المتلقي مع النص الأدبي، فالذات المتلقية وما يحدثه تفاعل المتلقي بصفته الجهة المستقبلة للنص الأدبي هو جوهر نظرية التلقي، حيث أن تلقينا وتأثرنا بعمل ما يجعلنا نشعر بالجمال، ويجدر التنويه هنا أن الجمال الرومانسي كان سبباً في ظهور نمط جديد من التجربة قوامه إرجاع الذكرى، أي ملكة الذاكرة الجمالية وما ينبو عنها من آثار مجسدة وخالدة كان بمثابة الدرب المؤدي إلى أحدث التغيرات في تجربة التلقي17 وآثارها الجمالية.

نظرية التلقي عند هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss هي شكل من أشكال التجديد في مسار الحركة النقدية، وذلك ما يطرحه هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss حيث يذهب إلى ((إنّ تاريخانية الأدب ليست متضمنة في علاقة التحام تتحقق بعديا بين أحداث أدبية ولكنها تقوم على التجربة التي يكتسبها القراء من الأعمال أولاً))18، ومن ذلك يتجلى لنا جوهر نظرية التلقي عند هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss القائمة على مقدرا قيمة التفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه من خلال أثار الوقع الجمالي والذي تتشكل من خلاله أفق الانتظار، أفق الانتظار الذي يعتبر أساس من الأسس التي يقوم عليها التفاعل بين المتلقي والنص الأدبي، يشكل عماد من الأعمدة التي يقوم عليها عملية التلقي عند هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss، وهو مفهوم يضع منظومة التوقعات والافتراضات الأدبيّة التي تكون مترسبة في ذهن القارئ حول نص ما، قبل الشروع في قراءة النصّ19، ويدّلل ياوس بقوله ((إن أفق التوقع الأصيل يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية:

1) التجربة القبلية التي يملكها الجمهور عن الجنس الأدبيِّ الذي ينتمي إليه النصّ الأدبيِّ.
2) شكل الأعمال السالفة وموضوعياتها، وهذا ما يتجسد في القدرة التناصية.
3) المقابلة بين اللغة الشعرية واللغة العملية، وبين العالم التخيلي والواقعية اليومية))20.

يشكل الوقع الجمالي عند هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss كبرى التحولات التي تصاحب التفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه، ومن ثم يشكل الوقع الجمالي بحضوره الأساس في تشكيل أفق الانتظار لدى المتلقي، وبذلك يبلور من جديد أفق انتظار جديد لدى المتلقي لم يكن يملكه من قبل، فعملية التلقي التي تصاحب التفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه هي الأساس في تجسيد الوقع الجمالي في ذات المتلقي، وهي الفاعل الأساس إحداث الوقع الجمالي،فتمظهرات عملية القراءة نلمسها من خلال إمكانية النص الأدبي في خلق أفق جديد لدي المتلقي، ومن ثم يحدد هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss بأن الأفق الذي يحويه النص الأدبي يكمن في خاصيتين أساسيتين تتمثل في خيبة أفق الانتظار واستجابة المتلقي لتلقي النص الأدبي، ومن ثم ندرك أن جوهر جمالية

التلقي لدى هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss تكمن في أن جوهر التفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه نابع من خيبة أفق الانتظار التي يحدثها النص الأدبي لمتلقيه أثناء لحظة التلقي.

كما يؤسس هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss لفعل التلقي وظاهرة الوقع الجمالي من التأسيس لمفهوم المسافة الجمالية Distance esthétique الذي ينبع من الحدث الذي يحدثه النص الأدبي من خيبة أفق الانتظار لدى المتلقي، ومن ثم نجد أن هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss يذهب إلى أن المسافة الجمالية هي ((البعد القائم بين الأثر الأدبيّ نفسه، وبين أفق انتظار"21 لدى المستقبل؛ ومن ثم يعتبر أفق التوقع عند هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss من الأسس القاعدية لنظرية التلقي، أفق التوقع الذي تتشكل من خلال عملية التفاعل بين النص الأدبي والمتلقي، ومن ثم يتشكل الوقع الجمالي.

الإحالات:

* – ولد فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser سنة 1926 بألمانيا، درس اللغة الإنجليزية و الفلسفة و اللغة الألمانية، اشتغل بالتدريس في عدة جامعات داخل ألمانيا و خارجها منها: جامعة هيدلبورغ– كولوني– كونستانس– كلاسكو– كاليفورنيا.... وهو عضو بأكاديمية " هيدلبورغ" للفنون و العلوم بالجمعية الإنجليزية للأدب المقارن، و بالأكاديمية الأمريكية للفنون و العلوم، كما أنه عضو بالأكاديمية الأوربية، و له أنشطة أخرى منها: رئيس اللجنة المخططة لجامعة كونستانس... و له عدة مؤلفات أهمها: القارئ الضمني The Implied Reader، فعل القراءة The Act of Reading، و التوقع Prospecting، و التخيلي و الخيالي The Fictive and The Imaginary، فولفغانغ إيرز، فعل القراءة، نظرية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحيداني و الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، ص 9.

** – يعد الناقد والمؤرخ الأدبي الألماني هانس روبيرت ياوس الذي ولد 1921 توفي 1997، من أبرز أعلام مدرسة كونستانس الذي عني أفرادها بصورة عامة بعلاقة دلالة النص الأدبي بالقارئ، وقد طور ياوس مع زملائه في جامعة كونستانس الألمانية، وعلى رأسهم إيزر ما عرف في سنوات الستنيات والسبعينات من القرن الماضي بنظرية التلقي، وكان للأستاذ ياوس هانز جورج غادمير، الذي درس على يديه بجامعة هياد يلبيرغ، أكبر الأثر على أفكاره التي دارت حول معنى التأويل وعلاقة ما يتوقعه القراء من العمل الأدبي في زمن بعينه، بمعنى هذا العمل وتاريخه.

– فخري صالح، نظرة هانس روبيرت ياوس إلى تاريخ الأدب، الثلاثاء 1ديمسبر 2009، الموقع العام: www.Mizawa.com ، الموقع الخاص .http//Ksa.daralhayat.com

1 – ماجدة ياسين الجعافرة، التناص و التلقي – دراسات في الشعر العباسي، جامعة اليرموك، دار الكندي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن، إربد، ص 57.

2 – حسين قحام، التناص، اللغة و الأدب، مجلة أكاديمية علمية يصدرها معهد اللغة العربية و آدابها، العدد 12، شعبان 1418 هـ / ديسمبر 1997 م، جامعة الجزائر، ص132.

3 – فولفغانغ إيزر، فعل القراءة – نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص 12.

4 – حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، ص، ص 115–116.

5 – عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية، النادي الأدبيّ الثقافي، جدة، الطبعة الأولى، سنة 1405 هـ / 1985 م، ص286.

6 – ينظر: نفسه، ص287.

7 – ناظم عودة حضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، 1997، ص 131.

8 – حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر و التوزيع، الطبعة 2000– 2001، ص 343.

9 – فولفغانغ إيزر، فعل القراءة– نظرية جمالية التجاوب، ص 12.

10 – المرجع نفسه، ص 13.

11 – ينظر: علي جعفر العّلاق، الشعر والتلقي – دراسة نقدية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الطبعة الأولى، الإصدار الثاني، سنة 2002، ص 64.

12 – حفيظ ملياني، تمثلات القراءة في الخطاب النقدي العربي الراهن، مجلة التبيين، مجلة ثقافية تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية، العدد 29، سنة 2008، ص92.

13 – بشرى موسى صالح، نظرية التلقي، أصول و تطبيقات، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2001، ص 50.

14 – ينظر: وحيد عزيز ، حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 1429 هـ/ 2008، ص 84.

15 – المرجع نفسه، ص 29.

16 – حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر و التوزيع، طبعة 2000/ 2001، ص205.

17 – ينظر: روبيرت هولب، نظرية التلقي، ص 191.

18 – محمد خير البقاعي، بحوث في القراءة و التلقي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ص 35.

19 – ينظر: عبد الله محمد الغدامي، القصيدة و النصّ المضاد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، سنة 1994، ص 163.

20 – محمد خير البقاعي، بحوث في القراءة و التلقي، ص 35.

21 – حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص 105.